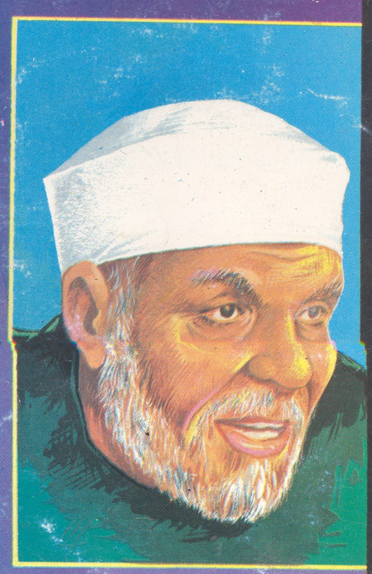
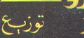
الرسول صلى الله عليه وسلم

بين المعجزة والواقع



محمد متولى الشعراوى



محمد متولى الشعراوى

الرسول

صلى الله عليه وسلم

بين

المعجزة والواقع



إعداد

زكريا القاضى



الطبعة الأولى



مقدمه

عنه عليه الصلاة والسلام

أعظم الخلق مكانة، وأرقى البشر منزلة بشهادة الغرب، هذا إذا استثنينا المستشرقين المتعصبين الذين غابت عنهم روح العلم والبحث السمحة، وتحكمت فيهم روح الحقد والتعصب.

محمد عليه الصلاة والسلام

لا ندرى كيف يجرؤ هؤلاء المتعصبون على وضعه فى مستوى الشبهات ... ولا أقصد بذلك رؤيتهم الإيمانية، لأنهم يفتقدونها بطبيعة الحال، وهى لا تخص إلا من أسلم وآمن يقيناً ووجداناً بأنه رسول الله، وأن ما جاء به عند الله حقاً وصدقاً، وأن ماحدث له من معجزات، هى معجزات كفلها الله له بالفعل، وهم - بالطبع- ليسوا

كذلك، وإنما قصدت بذلك طبيعتهم العقلانية ... كيف تغافلت تلك الطبيعة، التى يفترض أنها قد بلغت درجة لا بأس بها من النضج والدقة والتحليل، عن إدراك عظمة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وارتقاء هذه العظمة إلى أبعد الحدود عن مستوى الشبهات فى كل مايصدر عنها من فعل أو قول .

محمد عليه الصلاة والسلام

كما يعرضه فضيلة الشيخ محمد متولى الشعراوى – فى هذا الكتاب – من منظورين رائعين متكاملين، هما : محمد بصفاته الخلقية والخلقية التى حباه الله بها، وبالمعجزات التى كفلها له الحق سبحانه وتعالى، وهما منظوران يحتمان ضرورة قياس رسول الله صلى الله عليه وسلم بهذين المعيارين دون سواهما، فهما السبيل الوحيد

لتجنب أى تناقض أو أختلاف قد تفرضه محدودية عقولهم ... فمن يمتلك عقلاً سوياً يدرك بداية أن أمر المعجزات غير خاضع لقدرات العقل، وغير خاضع لتصورات هذا العقل، مهما أوتى من قدرة على التخيل. ومن ثم يمكننا أن نوزن الأمور بهذا الميزان الذى لايخطئ أبداً ... فتتجلى عظمة رسول الله، كما أرادها الله عز وجل، وكما رآها صحابته، وكما أدركها التابعون، وكما نتيقنها نحن ......

زكريا القاضى

معجزات الرسول

صلى الله عليه وسلم

أحمدك ربى وأستعينك، وأصلى وأسلم على خير خلقك سيدنا محمد، أذن الخير التى استمعت واستقبلت آخر إرسال السماء لهدى الأرض، ولسان الصدق الذى بلغ عن الحق هداية الخلق، وبعد.

* * * *

منزلة الرسول عند الله

فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم أسمى وأكرم من أن يعرف قيمته بشر مثله، لكن الذى يقدر على تقييمه التقييم الطبيعي لمكانه هو ربه الذى اصطفاه وأرسله *(ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير)* - الملك ١٤ - وإذا أردنا أن نعرض التقييم الحق لرسول الله صلى الله عليه وسلم ... فإننا نجد أنه تعالى حين يخاطب جميع الرسل يخاطبهم بأسمائهم مباشرة فيقول : *(يا آدم إن هذا عدو لك ولزوجك)* طه ١١٧ ويقول : *(يانوح اهبط بسلام منا)* - هود ٤٨ - ويقول : *(فلما آتاها نودى ياموسى إنى أنا ربك)* - طه ١١ ، ١٢ ويقول : *(ياعيسى بن مريم أأنت قلت للناس اتخذونى وأمى إلهين من دون الله)* - المائدة ١١٦ - ولكنه حينما يتوجه بالخطاب إلى حبيبه الأعظم لم يقل له : يامحمد، ولا : ياأحمد، وإنما

قدم بين يدى ندائه قوله : *(يا أيها النبى)*.

ذلك أمر يضع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى موضعه من حب ربه فيرفعه إلى أقرب المنازل من ربه ... ونجد الحق سبحانه حين يقسم على أشياء ليؤكدها لنا، يقسم بأشياء كثيرة من أجناس شتى، فيقسم بالجماد، ويقسم بالنبات، ويقسم بالحيوان، ويقسم بالملائكة، ولكننا لم نره - سبحانه - أقسم ببشر مطلقًا، اللهم إلا برسوله محمد صلى الله عليه وسلم حين يقول *(لعمرك إنهم لفى سكرتهم يعمهون)* - الحجر ٧٢ - أى : وحياتك يامحمد... فكأن عمر رسول الله، وحياته أمر له مقامه عند ربه.

وإذا كان الناس حين يمدحون إنسانا بحسن الخلق، ونبل الصفات، فإنهم يمدحونه لأنهم عرفوا الصفات، وقيموها ببشريتهم، وتقييم البشر للأشياء خاضع لعلمهم بهذه الأشياء،

فإن الحق حين يقيم الخلق، يقيم الخلق على أرفع مستوى خلقه فى الإنسان فيقول : ***(وإنك لعلى خلق عظيم)*** - القلم٤- فحين يقول الحق لرسوله : ***(وإنك لعلى خلق عظيم)*** فليس المقصود هنا الخلق التعارف عليه عند البشر، ولكنه الخلق المطلوب لله ... ورسول الله اجتاز هذه المنزلة، فكان صاحب الخلق العظيم بتقييم الله العظيم.

* * * *

وامة دائمة وخيرة

والحق سبحانه وتعالى حين يريد هدى خلقه يرسل إليهم رسلا، والرسل يأتون بمنهج الله إلى الناس، ولكن المنهج يقيد الناس فى حركاتهم، والناس دائما يألفون شهوات أنفسهم، فتطرأ عليهم الغفلة، عندها ينسون شيئا من المنهج، فيأتى المجتمع فينبههم إلى ذلك الذى نسوه، إذن فالإنسان قد يكون أوابا راجعا إلى ربه، حين تكون نفسه لوامة، ولكن قد تأتى عليه فترة من الزمن فلا تلومه نفسه، فعلى المجتمع حينئذ أن ينبهه إلى نفسه، وأن يعيده إلى رشده ليهديه، فإذا مافسد المجتمع ... فماذا يكون الموقف؟

لابد أن تتدخل السماء مرة ثانية، لتأتى بالمنهج الجديد ... وهذا المنهج لابد أن يكون على لسان رسول جديد بمعجزة جديدة ... ولكن الله سبحانه وتعالى قد شاء أن يختم الرسالات برسالة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، فلا

يأتى بعده نبى ... إذن فالرسول محمد صلى الله عليه وسلم هو الخاتم، ومعنى الخاتم : أن الله أودع فى أمته خاصية، هذه الخاصية تقوم مقام تعدد النبوات، وتعدد الرسالات ... وذلك هو الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر الذى اختصت به أمة محمد صلى الله عليه وسلم.

إذن ... فرسول الله صلى الله عليه وسلم هو خاتم لرسالات السماء، ومادام هو الخاتم لرسالات السماء ... فلا بد أن يكون فى رسالته عنصر البقاء، وفى أمته أيضا عناصر الحفاظ على هذه الرسالة، ولذلك يقول : «الخير فى وفى أمتى إلى يوم القيامة» ... ولكن الخير حين يكون محصورا فى محمد صلى الله عليه وسلم، أهل لأن يتلقى كمالات كثيرة ومتعددة، ولكن الأمة لايستطيع فرد منها أن يأخذ الكمال المحمدى كله ... فالخير بأجمعه فيه صلى الله عليه وسلم، ولكنه فى أمته موزع، فواحد يأخذ منه صفة، وآخر يأخذ صفة أخرى، وثالث يأخذ صفة ثالثة، بحيث إذا

تجمعت صفات الكمال فى أمته صلى الله عليه وسلم، أمكن أن يكون هو النموذج الشائع فى الأمة كلها.

* * * *

شذوذ الإنسان عن الوجود

فرسول الله صلى الله عليه وسلم جاء ليعيد إنسجام الإنسان مع الوجود، ومعنى انسجام الإنسان مع الوجود : أن الوجود بجماده ونباته وحيوانه خاضع مسخر لله، لايمكن أن يصدر منه شيء إلا بمراد الله منه، ولكن الإنسان نفسه هو الذى كان منه الطائع، وكان منه العاص؛ ولذلك يعرض الحق هذه القضية فى عدم انسجام الإنسان مع الوجود الخاضع الساجد الخاشع، يقول الحق سبحانه وتعالى : ***(ألم تر أن الله يسجد له من فى السموات ومن فى الأرض والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب)*** تلك هى أجناس الوجود بأجمعها ساجدة خاضعة لله، ولكنه حين جاء للإنسان لم يكن ذلك الإجماع، بل قال : ***(...وكثير من الناس وكثير حق عليه العذاب)***

-الحج١٨ -

كان من المفروض أن ينسجم الإنسان مع الوجود كله، فيكون خاضعا لمنهج الله، كما أن الوجود كله خاضع لمنهج الله، ويأتلف معه، وينسجم معه، ولاينجم شر فى الوجود مع الإنسان الطائع، أما الإنسان العاصى فهو الذى يشكل شقاقًا بينه وبين أجناس الوجود : وجود مسبح ... وجود ساجد ... وجود خاشع ... وإنسان متمرد عاص.

* * * *

وفرح به الوجود كله

حين يأذن الله سبحانه وتعالى ليعيد للإنسان - بمنهج الله - إنسجامه مع الوجود، فلا بدعة إذن فى أن يفرح الوجود بمن يعيد إليه الانسجام بينه وبين الإنسان ... وذلك هو الشأن معه صلى الله عليه وسلم ... فقد جاء ليعيد انسجام الإنسان مع الوجود كله ... ليأتى بالمنهج النهائى لهدى الإنسان، ليكون الإنسان خاضعا كبقية أجناس الكون كله لله سبحانه وتعالى ... وليترك من بعده أمة، مكلفة باستدامة هذا الانسجام بين الإنسان والوجود.

إذن ... فلا عجب أن يفرح به الوجود، ولاعجب أن يفرح به الجماد، ولاعجب أن يفرح به النبات، ولاعجب أن يفرح به الحيوان، ولاعجب أن تفرح به الملائكة، ولاعجب أن يفرح به طائع الجن ... إذن فإذا حدثنا أن ميلاده صلى الله عليه وسلم قد اقترن بأشياء حدثت فى الكون، من إرهاصات ومقدمات

فى الوجود كله بميلاده، فيجب علينا ألانستبعد ذلك؛ لأنه هو الرسول الذى سيعيد للإنسان انسجامه مع الوجود كله، والوجود كله كما نعرفه ليست فيه الحياة التى نعرفها فى نفوسنا، ولكن له حياة وله تعقلاً فى التلقى عن الله، وله فرحًا، وله حزنًا. وقد شاء الحق أن يعرض لنا هذه القضية عرضا إجماليًا؛ لنعرف أن للكون كله عابداً لله وخاضعًا له، فقال : *(وإن من شىء إلا يسبح بحمده ولكن لاتفقهون تسبيحهم)* - الإسراء ٤٤ - ومعنى (إن من شىء) أى : كل شىء فى الوجود مسبح بحمد الله، ولكننا ألفنا التسبيح بألفاظ، وألفنا التسبيح بلغة، فلما لم نسمع من الكون ألفاظا، ولما لم نسمع من الكون لغة، قال بعض العلماء : إنه تسبيح الدلالة على وجود الله وعلى وحدانيته ...

نقول لهم : مرحبا، هو تسبيح الدلالة على وجوده

ووحدانيته، ولكن هذا لايمنع من التسبيح الحقيقى، لأنه إن كان تسبيح دلالة - كما تقولون - فالحق سبحانه قال : (*ولكن لاتفقهون تسبيحهم*). وأنت قد فقهتموه، إذن فهو غيره ...

* * * *

والذى يدل على ذلك : أن الحق سبحانه وتعالى عرض من أجناس الوجود أشياء، وجعلها تشترك مع الإنسان فى بعض عباداته، فالله تعالى يقول فى شأن داود عليه السلام *(ياجبال أوبى معه)* - سبأ ١٠ - ومعنى *(أوبى)* : رجعى ورددى تسبيح الله مع داود، أى : ياجبال، يجب أن يوافق ترجيعك ترجيع داود. ويقول تعالى: *(وسخرنا مع داود الجبال يسبحن)* - الأنبياء ٧٩ - والجبال مسبحة مع داود ومع غير داود، ولكن الأمر الصادر إلى الجبال هو: أن يتفق تسبيحها مع تسبيح داود خاصة؛ ليكون تسبيح داود، وكأنه عرس توحيدى فى الكون كله ...

الحق سبحانه وتعالى يعرض لنا وأيضا : أن لجميع الأجناس منطقا، ولها لغة، وجهلنا بهذه اللغة هو الذى جعلنا لانفقهها، فإذا علم الله إنسانا لغة هذه الأجناس، أمكنه أن

يفقه تسبيحها، وأن يفقه منطقها، كما علم سليمان بعض لغات الوجود.

اقرأوا إن شئتم قول الله تعالى : ***(قالت نملة يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم لايحطمنكم سليمان وجنوده وهم لايشعرون)*** - النمل ١٨ - وسمعها سليمان، وحمد الله على أن أنعم عليه، بأن فهم لغة النملة. قد يقال : إن تلك أمور تعلمتها النملة إلهاما؛ لتحافظ على نوعها بدليل : ***(لايحطمنكم سليمان وجنوده)*** فهى تحافظ على بقاء النوع. نقول له : لا.

فحينما عرض الحق سبحانه قصة هدهد سليمان، فماذا قال له الهدهد؟ لقد قال : ***(وجئتك من سبأ بنبأ يقين. إنى وجدت امرأة تملكهم وأوتيت من كل شىء ولها عرش عظيم)*** - النمل ٢٢، ٢٣ - هذا كلام الخبر، ولكن الذى يهمنا فى قضية العقيدة والتوحيد أنها أمر سائر فى

كل الأجناس فى الوجود: أن يقول الهدهد *(وجدتها وقومها يعبدون الشمس من دون الله)* - النمل ٢٤ - هذا ما حز فى نفس الهدهد : أن يسجدوا للشمس من دون الله، وهو الذى جعله يتأخر عن سليمان، حتى كاد يدفع حياته ثمنا لهذا التأخير، حين قال : يجب أن يكون له التسبيح، ومن يجب أن يكون له السجود *(ألا يسجدوا لله الذى يخرج الخبء فى السموات والأرض)* - النمل ٢٥ - هذه هى معارف الهدهد، وهى بعينها معارف الوجود كله.

* * * *

خطأ الرافضين

فحين تقرأ فى كتب السيرة أنه حدث فى مولده صلى الله عليه وسلم : أن انشق إيوان كسرى، وغاضت بحيرة ساوة، وخمدت نيران فارس ... إلى آخره، فنحن نجد أن البعض يرددها بأسلوب التأدب مع سيرته صلى الله عليه وسلم، ولكنه لايتعرض لها بالنفى أو التأييد، وإن كان يقترب من الرفض ... وربما ذهب بعض الناس الذين لايريدون الإقرار بهذه الظواهر أو المعجزات الكونية، إلى أن الرسول صلى الله عليه وسلم ليس فى حاجة إلى هذه المعجزات الكونية.

أما ... وقد وضح أن الرسول صلى الله عليه وسلم جاء ليعيد انسجام الإنسان مع الكون الساجد، وأن كل مافى الوجود يسجد ويسبح لله، غير أن الجنس البشرى هو الذى يشذ بعضه عن الإجماع فى الخضوع والسجود لله، فإن هذه الظواهر الكونية المخلوقة لله والعابدة له بلغتها التى أثبتها

القرآن، ليس مستبعدا أن تفرح وأن تبتهج بمثل هذا المولد، مولد الإنسان الأعظم صلى الله عليه وسلم، الذى جاء ليعيد إلى الإنسانية رشدها.

* * * *

مناقبه الخلقية والخلقية
« حلية صلى الله عليه وسلم »

رسول الله صلى الله عليه وسلم هو عند ربه بالمكان الذى نعرفه له، وهو عند المؤمنين به بالمكان الذى يرضى الله عن وجوده فى نفوس من آمن به. ورسول الله صلى الله عليه وسلم حينما يتكلم المنصفون عن صفاته الخلقية، إنما يتكلمون عن صدى مااستمالتهم صورته صلى الله عليه وسلم استمالة - كما يقول الأدباء - كانت قيد الناظر إليه؛ أى إن الناظر إليه صلى الله عليه وسلم كان يقيده كل حسن فيه وما ذلك إلا لأن الطاقة الحبية والطاقة القلبية لاتجعل للناظر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم معدى عن استدامة النظر إليه، والنظر إليه كما عرفنا يعطى إشعاعات اليقين، إشعاعات الإيمان، والدليل على ذلك أن من رآه صلى الله عليه وسلم كان صحابيا ومعنى ذلك، أن للرؤية الذاتية تأثيرا فى كيان

المؤمن برسول الله صلى الله عليه وسلم، وكون الواصفين له يدققون الوصف له فى أدق الأشياء يدل على أنهم لم يفتهم شيء، فإنما هو اختلاف اللقطات أو اختلاف التعبير عن اللقطات، فإن مثلا آلات التصوير حينما تصور إنسانا فعلى قدر جودة الآلة، وعلى قدر قدرة ومهارة من يستعمل هذه الآلة ... تخرج الصورة طبق الأصل، ولكنهم فى الجملة يلتقون على أشياء، هذه الأشياء تميزه صلى الله عليه وسلم ببنية كاملة متكاملة؛ بحيث يكون للقلب منه غذاء وللعين منه غذاء وللأذن منه غذاء، بمعنى أن إدراكات المؤمن كلها، لها غذاء منه صلى الله عليه وسلم.

ونحن إذا نظرنا إلى جملة ماوصف به صلى الله عليه وسلم ... نجد الجامع لذلك هو رواية سيدنا الحسن بن على عن خاله هند بن أبى هالة، قال الحسن :

(سألت خالى هند بن أبى هالة عن حلية رسول الله صلى

الله عليه وسلم) والتعبير هنا بكلمة حلية رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولم يقل عن صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم دليل، على أنه يلحظ أن كل وصف فيه حلو، فكأن وصوفه كانت حلية فى ذلك الكمال النبوى. (وأنا أبدو أن يصف لى منها شيء ... لماذا ؟ ... أتعلق به) يعنى حين يتصور ذاته الشريفة، تحدث له صورة فى نفسه عن هذه الذات؛ لينقلها إلى المؤمنين به، فتحدث لهم أيضا صورة نفسية عن هذه الذات. وولع النفس المحبة بالصورة المادية الشكلية لمن تحب أمر نعرفه عند الكتاب وعند الأدباء وعند الشعراء بل وعند النبوة أيضا ... فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم حينما عرج به إلى السماء ، وتكلم عن سيدنا موسى، وعن سيدنا عيسى، وعن سيدنا ابراهيم ... سئل من أصحابه : ماكان شكل ابراهيم؟ ... ماكانت صفة موسى ؟ ... ما كان شكل عيسى ؟ ... فيقول صلى الله عليه وسلم :

(أما موسى فرجل آدم طوال، كأنه من رجال أزد شنوءة) أعطى وصفا مقربا لسيدنا موسى بالأدمة فى لونه، وبهذا الطول ... وحينما يتكلم عن سيدنا عيسى يقول : **(كثير خيلان الوجه)** ومعنى كثير خيلان الوجه - فى عرفنا - الحسنات التى نقول عنها : فلان فى وجهه حسنة، أى فى وجهه خالات كثيرة **(يقتر وجهه)** يعنى مندى دائما رطبًا (كأنه يخرج من ديماس)، أى كأنك حين تراه، تراه خارجا من حمام، ومايتبع ذلك من كثرة العرق المتصبب منه. وبعد ذلك يقول عنه عليه السلام : **(أشبه أصحابكم به عروة بن مسعود الثقفى)** فكأن من يريد أن يتخيل صورة عيسى عليه السلام ... فعليه أن ينظر إلى عروة.

وبعد ذلك يقول عن سيدنا ابراهيم: **(أما ابراهيم فأشبه الناس به صاحبكم هذا)** يعنى ذاته الشريفة.

ورسول الله صلى الله عليه وسلم لم يقل ذلك، إلا لأنه

يعلم أن النفس المحبة تشتاق إلى أن تأخذ فكرة، ولو إجمالية عمن تحب ... حتى إذا ما تصور المعانى تصورها فى جانب يمكن للعين أن تستوضحه، ويمكن للنفس البشرية أن تأنس بذلك القالب، ... فهو حين يسأل الحسن خاله هند بن أبى هالة عن حلية رسول الله صلى الله عليه وسلم، يريد أن يعطى نفسه ذلك الزاد التصورى، ويريد أن ينقل لنا ذلك الزاد التصورى، وإلا فمن منا يتخيل كيف كان شكل رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ ... كيف كان طوله؟ ... كيف كان لونه؟ ... كيف كان شعره؟ ... كيف كانت مشيته؟ ... كل ذلك أمر شغل الناس جميعا، فلو لم تأت هذه المسألة فى سيرته صلى الله عليه وسلم، لكان ذلك هو العجب ... ولكن مجيئها يمثل أنه أعطى شيئا تتطلبه النفس البشرية، فماذا قال هند بن أبى هالة فى حلية رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قال :

(كان رسول الله صلى الله عليه وسلم فخما

مفخما)، ومعنى فخما مفخما أن العين لا تقتحمه؛ أى ساعة ينظر إليه الإنسان يجد له فخامة ... يجد له عظمة ... يجد له هيبة ... إذن لا تقتحمه العين؛ أى يعنى أنه يعطى شيئا من الجلال وشيئا من المهابة، وهذا أمر يتطلبه موضعه من رسالة الله فى الأرض ... فخما مفخما ... ثم ينتقل إلى وجهه ليعطينا الصورة ... والوجه هو السمة الأصيلة فى تشخيصات الأشخاص، فيقول : (يتلألأ وجهه تلألأ القمر ليلة البدر) ... وبعد ذلك يعطينا الفكرة عن قوامه صلى الله عليه وسلم فيقول : (هو أطول من المربوع وأقصر من المشذى) والمربوع الذى كما نقول فى عرفنا : أنه مربع، يعنى : طوله أقرب من عرضه ... والمشذى هو الطويل البائن فى نحافة ... تخيل الصورتين : الطويل البائن الطول فى نحافة، والرجل المربوع الذى يكاد طوله يقرب من عرضه ... الصورة إذن ليست الصورة الكمالية التى توجد للطول ... هو

أطول من المربوع وأقصر من المشذى ... يعنى بين بين ... يعنى هو فى أوسط القوام ... وبعد ذلك يقول : (عظيم الهامة)، إن رأسه وما يحملها من رقبة ساعة تراها ترى عظمة تستميل وتستلفت النظر ... وبعد ذلك يقول عنه (وكان رجل الشعر)، والرجل من الشعو هو الذى بين الجعودة والسبوطة، يعنى (بعرفنا) ليس بالشعر الناعم والشعر المجعد ... يعنى أنه شعر متموج ... (إذا انفرقت عقيقته ... فرق وإلا فلا، يتجاوز شعره شحمة أذنيه إذا هو وفره)، ومعنى ذلك أنه إذا هو وفره أن ذلك لم يكن حالة رسول الله صلى الله عليه وسلم دائما ... فلأنه كان مثلاً فى النسك يحلقها بالموسى ... إذن فحين يأتى أمر نسكى يتطلب منه صلى الله عليه وسلم أن يحلقه ... يحلقه ... بالدليل القوى (إذا هو وفره) ... وكأنه كان يوفره مرة ولايوفره مرة أخرى ... وبعد ذلك ينتقل من موضوع شعره فيتكلم عن شىء آخر ...

يتكلم عن لحيته يقول : (كان كث اللحية ...) وبعد ذلك ينتقل إلى عينيه فيقول (أدعج) والأدعج هو من كان سواد عينيه شديدا ... وبعد ذلك ينتقل إلى شيء آخر فيقول (كان ضليع الفم) أى متسع ... وهذا أمر تحمده العرب ...؛ خصوصا فيمن كانت رسالته البيان، ولذلك يقولون : مفوه... أى يتكلم بالكلام، وفمه ليس ضيقا بحيث يحجز الصوت حجزا، يجعله أشبه بالصفير، ولكن الصوت يأتى من كل جوانب فمه، وذلك أدعى إلى أن يأخذ الصوت كل الأنغام التى تؤثر فى السامع، ... وبعد ذلك يقول (معتدل البدن متماسكا) ومعنى متماسك أن سمنته غير مترهلة، أو كما نقول مضمر، أى إن كان فيه شيء من السمنة فليس من السمنة المستلقية، ومعنى الشنب فى لغة العرب أن أسنانه رقيقة دقيقة ... فيها مائية تعطى بريقا ... وبعد ذلك يقول (مفلج الأسنان) مفلج الأسنان يعنى فيه فضاء بين أسنانه،

وذلك أدعى إلى طيب الفم لأن بقايا الطعام لاتتخلل الفضاء بين أسنانه فتتعفن، ... وبعد ذلك ينتقل نقلة أخرى فيقول : (وكان صلى الله عليه وسلم ضخم الكراديس) وهى رؤوس العظام، ومعنى ضخم الكراديس أنه منبسط يعنى ليس كالأحدب أو المتجمع أو المنقبض، بل هو مفرود القوام ... وبعد ذلك يتكلم عنه صلى الله عليه وسلم فيقول : (وكان صلى الله عليه وسلم أشعر الذراعين) أى ذراعه به شعر (والمنكبين وأعالى الصدر، موصول ما بين اللبة والسرة بشعر يجرى كالفرط) يعنى أنه دقيق ... شعرة متواترة وراء شعرة ... فانظروا إلى هذه الدقة التى استوعبت حليته صلى الله عليه وسلم ... وبعد ذلك يقول : (خمصون الإخمصين) أى أن وسط قدمه بالداخل لايلتصق بالأرض، وهذا عيب خصوصا فيمن يطلب منهم أن يكونوا عدائين أو جرائين أو ... إلخ، وهو مايسمى (فلات فوت) ومع ذلك كان يقول :

(وكان مسيح القدمين) يعنى أنه لاتوجد تجاعيد فى بشرته ... فإذا صببت عليهما الماء لايحتجز منه شيء ، بل يسيل عنهما الماء ويتدحرج عليهما كأنه من البالون ... وبعد ذلك ينتقل إلى وصف آخر فيقول : (كان صلى الله عليه وسلم شثن الكفين والقدمين) ومعنى ذلك كما نقول فى عرفنا: غير ظاهر العروق ... (وكان سائل الأطراف) يعنى أصابعه فيها شيء من الطول والاسترسال ...

وحينما يتكلم بعد ذلك عن رسول الله، صلى الله عليه وسلم، ينتقل إلى شئ آخر فيقول **(وكان دائما خافض الطرف)** وخافض الطرف يعنى مغمضا بعض الشيء (نظره إلى الأرض أطول من نظره إلى السماء، جل نظره الملاحظة، يسوق أصحابه ويبدأ من لقيه بالسلام) ومعنى يسوق أصحابه أنه حينما كان يمشى دائما يكون أصحابه أمامه ويكون هو صلى الله عليه وسلم خلفهم ... ولما سئل عن ذلك

مرة قال : (خلوا ظهرى للملائكة ربى) ... ويبدأ من لقيه بالسلام ... وذلك شأن المتلطف ... كل هذه الصفات ...، الصفات الخلقية تعطينا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم استوقف أنظار هؤلاء ، حتى استوعبها هذا الاستيعاب لينقلوها إلينا لتعطينا شيئا من راحة النفس، حين نتصور كيف كان رسول الله صلى الله عليه وسلم.

* * * *

منطقه صلى الله عليه وسلم

الرسول صلى الله عليه وسلم أسوة ... وأسوة إنما تأتى فيما يمكنه أن يصنعه المتأسى بالمتأسى به ... صفاته صلى الله عليه وسلم الخلقية لا مجال لأحد أن يقول : أتأسى بها؛ لأنها هبة الله تعالى للإنسان ... إذن الصفات الخلقية التى تكلم عنها الحديث إنما كانت مدخلا ليعطينا الصورة عن الأشياء الأخرى، حتى تقع التصورات المعنوية التى يمكن أن أحمل سلوكى عليها على شىء موضح فى الذهن، يستطيع الإنسان أن يجعل هذه الخلال قائمة به ... إذن فالصفة الخلقية لاتصل لنا بالأسوة فيها أبدا لأنه هذه هبة الله ... ولانقدر أن نقول لرجل : تأس برسول الله أن تكون طويلا ... أو تأس برسول الله أن تكون قصيرا ... أو إلخ. ولكن الأسوة الحقيقية هى فيما يصدر عن هذه الذات الكاملة من الصفات الخلقية التى يمكن أن يكون للأسوة فيها مجال ... ولأن رسول الله

صلى الله عليه وسلم مهمته عن ربه البيان ... فقد كان أول شيء انتقل إليه الحسن في سؤاله خاله هند بن أبي هالة، قال : صف لي منطقه ... فأعطانا هند صورة عن منطقه فقال :

(كان النبي صلى الله عليه وسلم متواصل الأحزان) أي أنه كان يحزن للمهمة التي كان يقوم بها ... وهذا الحزن هو مايفسره الحق في قوله سبحانه (لاتحزن) **(لعلك باخع نفسك على آثارهم)** ... حينما يجد انصرافا عن الدعوة، وهي دعوة متضحة في ذهنه وبفطرته، وبتكوينه يعجب أن هؤلاء لايؤمنون بها ... فهو يحزن لهم ولايحزن، الأمر يتعلق به هو ... ولذلك يجب أن نلتفت جيدا إلى أن الحزن من رسول الله صلى الله عليه وسلم، إنما يؤخذ لو أن الحزن كان لأمر يتعلق بشيء ناله، ولكن الحزن كان لأمر يتعلق بشيء ينال الآخرين ... وهذا يدل على حرصه صلى الله عليه وسلم ...

فإذا حزنت مثلا لأن ابنى لايطيع كلامى، أو لأن ابنى لايلتفت إلى واجبه فهو لايعتبر حزنا لأمر عائد على، وإنما هو حزن على من يحزن عليه ... لا على نفسه ... فقال للحسن عنه **(كان متواصل الأحزان دائم الفكر)** دائم فكره لأن مهمته تستلزم هذا ... كيف يقابل هؤلاء؟ ... كيف يكون منهج الدعوة؟ ... ماذا يصنع فى أتباعه المضطهدين؟ ... ماذا يصنع فى قوم يتكالبون على الضعفاء، ويريدون أن يفتنوهم عن دينهم؟ ... وبعد ذلك يقول : **(وكان طويل السكوت)** ... ثم ينتقل إلى كلامه صلى الله عليه وسلم فيقول : **(يفتتح الكلام بختمه بأشداقه)** يعنى - بعرفنا - لايتكلم من طرف مناخيره ... فكلامه يملأ فمه، حتى يأتى من هذا الشدق ... أى كما قلنا سابقا **(مفوه)** ... وبعد ذلك قال : **(يتكلم بجوامع الكلم)** ومعنى جوامع الكلم : الكلمة الموجزة تحمل المعانى المطلوبة..

لمــــاذا ؟ ... لأن عنده إعـجـازاً ومـادام عنـده إعـجـاز ... إذن فيمكن أن يلم كثيرا من المعانى فى اللفظ الموحى والمعبر ... **(يقول القول فصلا لافضول فيه)** أى لازيادة فيـه عن المطلوب ... ولا تقصير فيـه عن المطلوب ... وبعد ذلك يقول : **(كان دمثا)** ومعنى دمثا أنه كان صلى الله عليه وسلم لين الخلق، يأنس إليه من يلقاه ... ويأنس إليـه من ينظر إليـه ... ويأنس إليـه من يتـحـدث إليـه يقـول : **(لايذم ذواقا ولايمدحه)** أى لا يذم طعاما قدم إليه ولايمدحه ... لايذمه لأنه نعمة ... ولمـاذا لايمـدحه؟ ... لان مدح أى ذواق ربما كان تعريضا؛ لأن الطعام الآخر الذى لم يمدحه مكروه فلا يذم ذواقا ولايمـدحه ... **(لايقاوم غضبه إذا تعرض للحق بشىء حتى ينتصر له، ولكنه كان لايغضب لنفسه ولايستفزه شىء).**

وبعد ذلك يتكلم عن حالته الأدائية للحركة، حين يتكلم

فيقول **(إذا أشار أشار بيده كلها)** يعنى لايشير بالأصبع كما اعتاد كثير من الناس ... ولكن لماذا إذا أشار أشار بكفه كلها ؟ ... فكأنه أدخر المسبحة للتوحيد فقط ... لايشير بها إلا للتوحيد فقط ... فيشير بكفه كلها ... **(وإذا تعجب قلبها)** أى إذا تعجب من أمر صار يقلب كفيه ... **(وإذا تحدث اتصل بها)** ومعنى اتصل بها أن يضرب بإبهام اليمين راحة اليسرى ... **(وإذا غضب أعرض وأشاح)** ومعنى أنه إذا غضب أعرض وأشاح أنه رؤوف حتى فى حالة غضبه ... لايريد أن يرى من أغضبه شكله وهو غضبان ... **(وإذا فرح غض طرفه جل ضحكه التبسم)** أى لايقهقه ... **(ويفتر عن مثل حب الغمام)**.

لنستدل على دقة التوثيق فى كل مانقل ... ينتهى هنا كلام الحسن رضوان الله عليه ... ثم ينتقل الكلام إلى أخيه الحسين، قال الحسن فى الحديث : **(فكتمتها عن الحسين**

زمانا) أى كتمت هذه الأوصاف التى قالها هند للحسن عن أخيه الحسين ... (ثم حدثته بها فوجدته قد سبقنى إليه فسأل أباه عليا) وليس هند ولكن سأل عليا أباه ... وعلى هو من هو، أداء وبيانا ... وحبا واستقبالا لصفات رسول الله صلى الله عليه وسلم ... فسألته عن مدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومخرجه، ومجلسه، وشكله، وكل شىء يتعلق به ...فلم يدع من ذلك شيئا - الرواية هنا للحسين - قال الحسين : (سألت أبى عليا عن دخوله - صلى الله عليه وسلم - قال : كان دخول - صلى الله عليه وسلم لنفسه مأذونا له فى ذلك) يعنى تميز رسول الله صلى الله عليه وسلم فى أنه كان إذا دخل على قوم لايستأذن ... لماذا ؟ ... لأن عنده الإشراقيات ... وعنده النور الذى يعرف أنه لايدخل على إنسان، وهو فى حال لايجب أن يراه عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ... ومادام هذا

الأمر، مامعنى الاستئذان؟ ... الاستئذان ألا اقتحم على أحد حجابه ... لماذا؟ ... لأنه ربما كان فى وضع لايجب أن أراه عليه ... ولكن رسول الله صلى الله عليه وسلم بإشراقياته يعرف أنه حين يدخل، لايكون من دخل عليه فى حال يجب أن يستره عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولأن رسول الله صلى الله عليه وسلم أولى بالمؤمنين من أنفسهم ... **(وكان إذا آوى إلى منزله جزأ دخوله ثلاثة أجزاء : جزءا لخاصة نفسه)** لأن هذا هو المعين الذى يتلقى منه الكماليات ... **(وجزءا لأهله، وجزءا لخاصة نفسه)** فإذا مانظرنا إلى هذا الجزء الذى هو خاصة نفسه ... كان ماذا يصنع فيه؟ ... **(جزأه - أى الخاص بنفسه - بينه وبين أمته، فيرد ذلك على العامة بالخاصة)** يعنى الخاصة الذين يفهمون إليه، يقول لهم هذا فى هذا الجزء من خاصة نفسه ماينقلونه إلى العامة ... لأنه ليس من المعقول أن عامة

المسلمين كلهم يذهبون إلى بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم : والمكان الضيق الذى به الرسول صلى الله عليه وسلم، فكان يرد ذلك على العامة والخاصة ... **(وكان من سيرته فى جزء الأمة إيثار أهل الفضل باذنه)** أى يأذن لهم بالدخول عليه ... **(وقسمتهم الوقت)** كأن كل واحد لمقامه من رسول الله صلى الله عليه وسلم تقديما، أو إعطاء وقت زائد على قدر فضلهم فى الدين **(فمنهم ذو الحاجة، ومنهم ذو الحاجتين، ومنهم ذو الحوائج)**، إذن فكأن رسول الله صلى الله عليه وسلم يجعل مقاييس الاذن وطول المدة معه، أوطول الحديث معه يتحكم فيه منزلة الرجل من الدين، فهذا يعطينا دستورا للحاكمين أن يكون المقياس مقياسا دينيا ... وليس مقياس النفاق والغش ... فعلى مقدار حظه من دين الله بأخذه اذن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وبأخذه قسمته ... **(منهم ذو الحاجة ومنهم ذو الحاجتين**

ومنهم ذوالحوائج، ثم بعد ذلك يتشاغل بهم) يعنى لايكونون معه ثم يسرح بعيدا عنهم ... بل هم يتشاغلون به، ويشغلهم فيما يصلحهم والأمة من مسألته عنهم ... يعنى حين يدخل يسأل الإنسان عن حال نفسه، وهذه عملية نفسية ... لماذا؟ ... لأن هذا الإنسان القادم إليك إذا كان عنده شيء من مشاغله الخاصة بشغله، لايحسن استقبال ماتقول ... ورسول الله صلى الله عليه وسلم يريدهم أدوات استقبال ... الفرصة التى يجتمعون معه فيها ينقلون إلى الناس شيئا، فإذا ماكانت هناك أمور تشغله فى خاصة نفسه، ربما شغلته هذه الأمور ... أوربما أخذت هذه كل فكرة، يحب أن يستوعبها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من مسألته عنه، وإخبارهم بالذى ينبغى لهم ... ثم بعد ذلك يطلب ثمن الإذن عليه، وثمن القسمة الزمنية التى يعطيها بطلب منهم أن يؤدوا مطلوبات هذه القسمة، وهذا الاذن فيقول :

(ليبلغ الشاهد منكم الغائب، وأبلغوا فى حاجة من لايستطيع إبلاغى حاجته). وهذا يعطينا الدرس على أن الذين تكون لهم أسباب إلى الحاكم، أو أسباب إلى الوالى يجب أن يكونوا رسل خير ... وسفارة للذين لايستطيعون أن يقتربوا من مكانه، وأن يأتوا إلى حضرته ليسمعوا عنه ... ليبلغ الشاهد منكم الغائب وأبلغونى حاجة من لايستطيع إبلاغى حاجته ... ثم يعمم الحكم فيقول : **(فإنه من أبلغ سلطانا حاجة من لايستطيع ابلاغه ثبت الله قدميه يوم القيامة)**، ومعنى ذلك أنه يعطى الأسوة المطلوبة فى أن يكون الذين يحظون بآذان الحاكمين، أو يحظون بمجالس الحاكمين أن يكونوا وسائل خير عندهم لمن لم يستطع أن يصل إلى ذلك المكان ... والثمن أن يثبت الله قدميه يوم القيامة ... قال فى رواية سفيان ابن وكيع **(يدخلون روادا)**، ومعنى يدخلون روادا أى لايتطلبون الدخول لقصد

الدخول، وإنما يتطلبون الدخول لكى يكونوا روادا يحملون الخير إلى الناس ... **(ولايتفرقون إلا عن ذواق ويخرجون أدلة)** يعنى فقهاء، يستطيع كل واحد منهم أن ينقل ماسمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأن يقول من فقه عنه، وبذلك تنتشر دعوته صلى الله عليه وسلم عند من لم يحضر مجلسه، بواسطة من حضر هذه المجالس.

* * * *

مخرجه صلى الله عليه وسلم

قال الحسين : فسألته عن خروجه صلى الله عليه وسلم، كيف كان يصنع فيه، فقال : « كان صلى الله عليه وسلم يخزن لسانه إلا مايعنيهم ويؤلفهم ولايفرقهم » ومعنى يخزن لسانه أنه لايهزل فى كلامه ... لايتكلم إلا فى الموضوع الذى يعلم أنه يؤلف القوم، ويعنى هؤلاء القوم ... (وكان يكرم كريم كل قوم ويوليه عليهم) يكرم كريم كل قوم لأن مامعنى كريم كل قوم؟ ... هو الذى يجد عنده القوم راحتهم فى ذوات نفوسهم ... فى ذوات أيديهم الضيقة ... ومادام إنسان خصاله الكريمة متعدية إلى غيره، وماعنده من خير الله متعد إلى غيره، فمثل هذا يؤتمن أن يكون واليا على هؤلاء ؛ لأنه إذا كان قد تعدى منه الخير وهو غير ظالم

فهذا يطمئن على أنه إن ولى الأمر فلن يأخذ شيئا لنفسه ... فإنه يكرم كريم كل قوم لأنه يستحق أن يكرم ... وبعد ذلك يوليه عليهم ... وبعد ذلك قال : **(يحذر الناس من غير أن يطوى عن أحد بشره وخلقه)** يعنى فطن ... يعرف حين يتكلم إنسان أن يزنه بالميزان الاحتراسى ... بالميزان الحسنى ... لأن الرسول صلى الله عليه وسلم كان عرضة لأن يدخل عليه المنافقون ... كان عرضة لأن يدخل عليه من يدس عليه، فكان صلى الله عليه وسلم يحذر الناس، ولكن هذا الحذر لايتعدى إلى انفعاله على غيره ... **(من أن يطوى عن أحد بشره وخلقه، يتفقد أصحابه)** ومعنى يتفقد أصحابه أنه إذا غاب واحد سأل عنه ... أين فلان؟ ولماذا؟ ... مريض ... فى حاجة ... فى أى شىء ... هذه تدل على حسن رعايته لأصحابه ... وإذا مانظرنا إلى مجرد سؤال القائد، أوصاحب الجاه عن إنسان تردد عليه ثم انقطع ... وهذا يعطيه

معنوية فى ذاته ... يعطيه أنه مذكور ... يعطيه أنه غير منسى ... يعطيه أنه إذا غاب افتقد ... هذا كله لصالح أمر الدعوة ... **(يتفقد أصحابه ويسأل الناس عما فى الناس)** لأنه ربما كان إنسان عنده حياء ، لايستطيع أن ينقل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات نفسه أو ظروفه الخاصة ؛ فيسأل فلانا عن حال فلان ... ربما أنه كان يستحى أن يقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا ... **(يحسن الحسن ويصوبه، ويقبح القبيح ويوهنه، معتدل الأمر غير مختلف، لايغفل مخافة أن يغفلوا أو يميلوا)** لايغفل عن شيء مخافة أن تكون فيه أسوة بالغفلة، وهذا يعطينا قاعدة أن الوالد أو الذى يتولى صدارة شيء، لابد أن يحاسب نفسه، قبل أن يطلب حساب غيره ... لماذا ؟ ... لأنه إذا غفل من له الولاية على الأمر فى شيء ؛ فالتابع يكون فى شيئين، وتابع التابع فى ثلاثة، وتابع تابع التابع فى

أربعة ... إذن فالعصمة تأتى هنا من أن يكون من بيده الأمر الأعلى لايغفل عن شيء، حتى لايستغفله من هو دونه ليفعل فعله ... وإذا مانظرنا إلى الفساد الموجود فى أى إدارة، أو أى جهة : هى أن المرؤوسين أو المتبوعين يجربون على الرئيس الأعلى شيئا من النقص، أو شيئا من التهاون، أو عدم الدقة والاحتياط فى الأمور ... ومعنى ذلك يكونون هم كما يحبون ... ومن هنا ينشأ الفساد ... فلا يغفل مخافة أن يغفلوا أو يميلوا ... **(لكل حال عنده عتاد)**، أى لكل حال من الأحوال عنده قوة وميزان يعطى الحال على قدر حجمه ... **(لايتجاوز الحق ولايقصر عنه، الذين يلونه من الناس خيارهم)** يلونه من الناس أى فى مجلسه ... **(وأفضلهم عنده أعمهم نصيحة)** يعنى إذا جلس معه ينصحه، ويقول لهذا كذا، ولهذا كذا وليس لمن يغشه ... لكن إذا نظرنا فى مقاييس الحكم الفاشل أو الإدارات الفاسدة نجد

أن الذى يلون الناس من الناس هم الذين ينافقونهم ... هم الذين يحسنون لهم القبيح ... هم الذين يقبحون لهم الحسن ... هم الذين ينقلون إلى أذن الحاكم أو الوالى أشياء غير واقعة؛ لكى تخدم أغراضا عندهم ... ولكنه صلى الله عليه وسلم كان الذين يلونه من الناس خيارهم وأفضلهم عنده أعمهم نصيحة ... ويعنى أعمهم نصيحة، هو الذى ينصح فى كل أمر يرى فيه وجهة الخير لصالح منهج الدعوة.

وبعد ذلك ... يتكلم سيدنا الحسين رضى الله عنه عن شىء آخر يتعلق برسول الله صلى الله عليه وسلم ... ويستهل هذا الحديث : أن سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يجلس ولايقوم إلا على ذكر ... لأن معنى لايجلس ولايقوم أى، لاينتقل من حال إلى حال ... أى بداية ونهاية ... معنى يجلس أنه كان قائمًا، ومعنى يقوم أنه كان جالسا ... إذن الرسول صلى الله عليه وسلم بين قائم وجالس ... فإذا كان

صلى الله عليه وسلم لايقوم ولايجلس إلا على ذكر، فذلك يعنى أنه حين يكون فى أمر آخر يذكر الحق سبحانه وتعالى... ومعنى يذكر الحق: أن يكون الذى صرفه عن القيام إلى الجلوس أمر يتعلق بالله سبحانه وتعالى ... والذى صرفه عن الجلوس إلى القيام أمر يتعلق بالله سبحانه وتعالى ... ومادام الله على ذكره حين يجلس ... فإن كل أموره إذن دائما على ذكر من الحق سبحانه وتعالى ... وبعد ذلك حينما يتكلم عن المجلس يقول : **«لايوطن الأماكن وينهى عن إيطانها »** يعنى ليس لأحد مكان مخصوص ... بحيث إذا أتى لابد أن يجلس فيها ... **(فكان إذا انتهى إلى قوم جلس صلى الله عليه وسلم حيث ينتهى به المجلس)** فإذا كان الرسول صلى الله عليه وسلم إذا ذهب إلى قوم جلس حيث ينتهى به المجلس ... فإنه يكون قدوة؛ لكى لايكون لأحد مكان خاص ... بحيث يحفظ له ... إن كان

غائبا ... أو يقوم غيره عنه إن أقبل عليه ... **(يعطى كل جلساته نصيبه حتى لايحسب أحد أن أحدا أكرم عليه منه)** تلك هى عدالة الرعاية ... لاينصرف بحديثه ولابعينه ولابأذنه إلى واحد دون الآخر ... بل يوزع هذه الحظوة على الجميع بالتسوية ... لماذا ؟ ... لأنه إذا ما اتجه إلى إنسان ولم يتجه إلى آخر ... فقد يأخذ هذا الإنسان أخذ منزلة والرسول صلى الله عليه وسلم معصوم ... وحينما يكون هو أسوة، فهو يعلمنا أن الحاكم لايصح له أن يوزع عنايته ورعايته على واحد خاص ... بل يجب عليه مادام أعلن لأن يدخلوا عليه مجلسه وأن يجلسوا عنده، فعليه أن يوزع نظره... ويوزع أذنه ... ويوزع تحيته ... ويوزع كلامه أن تكلم على الجميع ... حتى لايعرف أحد أن فلانا خير منه عند رسول الله صلى الله عليه وسلم، لأن المقاييس كما قلنا هى المقاييس الإيمانية ... **(أفضلهم عنده أعمهم نصيحة،**

وأشدهم عنده منزلة أحسنهم مواساة ومؤازرة).

وأيضا ... فإن الحسين رضى الله عنه حينما تكلم عن الرسول صلى الله عليه وسلم فى هذه المسألة، زاد أمراً آخر بعد ماقال : (من جالسه أو قاومه لحاجته) يعنى أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم، وجلس معه ليتكلم معه فى حاجة أوقاومه أى أخذه وهو قائم ... (صابره حتى يكون هو المنصرف عنه) إذن الإذن لمن؟ ... الإذن ليس له ... انتهاء المقاومة ليس له ... انهاء الوقت ليس له ... وإنما هو لمن يجالسه أو لمن يقاومه ... (ومن سأله حاجة لم يرده إلابها أو بميسور من القول ... قد وسع الناس بسطة وخلقه فصار لهم أب، وصاروا عنده فى الحق سواء ... مجلسه مجلس حلم وحياء وصبر وأمانة ... لاترفع عنده الأصوات، ولاتقبل فيه الحلم ولاتنسى فلتاته) هب أن واحدا قال كلمة أو فلتة صارت منه ... لاينقل من

مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى غيره، وكأنها لم تحدث أبدا وكأنها حذفت.

* * * *

أدبه صلى الله عليه وسلم
مع جلسائه

يقول الحسين أيضا فى روايته عن أبيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم **(كان دائم البشر ... لين الجانب ... سهل الخلق)** وهذه هى الصفات العامة ... وبعد ذلك قال : **«يتغافل عما لايشتهى»** يعنى أن حدث شىء أمامه، وهو لايشتهيه، يتغافل عنه وكأنه لم يره ... لأنه صلى الله عليه وسلم يقدر نوازع النفس البشرية ... فلا يحب أن يخجل صاحب الشىء بأنه رأى منه ... (يتغافل عما لايشتهى ولايقيس منه، قد ترك نفسه من ثلاث : من الرياء ومن الإكثار، وما لايعنيه ... وترك الناس من ثلاث : لايضر أحدا ولايعيره ولايطلب عورته ... لايتكلم صلى الله عليه وسلم إلافيما يرجوا ثوابه) يعنى لافضول عنده ... إن كان فى هذه الكلمة ثواب تكلم بها ... **(وإذا تكلم أطرق جلساؤه كان**

على رؤوسهم الطير) ومعنى على رؤوسهم الطير كناية عن أنه إذا كان فيه جماعة، فكل واحد منهم يخاف أن يحرك رأسه مخافة أن يطير الطير ... **(فإذا سكت تكلموا)** هذا أدبهم مع حديثه صلى الله عليه وسلم ... ويتكلم بعد ذلك عن أدبهم عند حديث إخوانهم فيقول : «حديثهم حديث أولهم» يعنى بالدور ... ولاأحد يقاطع لمتكلم ... **(فإذا تكلم عندهم إنسان لايقطعون عليه كلامه، حتى يفرغ فإذا فرغ تكلموا)** وبعد ذلك لايتعالى عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم، ويبين لهم مكانته العظيمة ... **(يعجب مما يعجبون منه ... ويضحك مما يضحكون منه ... ويصبر للغريب على الجفوة فى المنطق)**، يعنى واحداً لايعرف قدره صلى الله عليه وسلم، وبعد ذلك اشتد فى منطقه كان يتلطف معه ويصبر عليه حتى أن بعض أصحابه كانت تغظيهم أمثال هذه المسائل، وقد تهيجهم ليقوموا فيقتلوه ...

ولذلك لما جاء الرجل إلى النبى صلى الله عليه وسلم، وطلب من رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا فأعطاه الرسول صلى الله عليه وسلم ماعنده ... قال له : يا أخا العرب أحسنت إليك؟. فقال : لاأحسنت ولاأجملت!. وأحد يقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم : لا أحسنت ولا أجملت ... ماذا يكون موقف صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم : دعوه ... ثم أخذه بيده، ودخل البيت وزاده خيرا مما عنده فى بيته ... ثم قال : يا أخا العرب أحسنت؟ ... قال : أحسنت وأجملت ... فبورك فيك من أهل وعشيرة ... فقال صلى الله عليه وسلم له : إذا نحن خرجنا إلى أصحابى، فقل عندهم ماقلته حتى ترضى خواطرهم ... فلما خرجوا قال : لقد قال أخى كذا وكذا ... فقال الرجل نعم ... فلما هدأوا ... قال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم : «إنما مثلى ومثل هذا كمثل رجل له ناقة، شردت منه فتبعها أصحابه فزادوها

نفورا ... فقال الرجل للقوم : ياقومى دعونى وناقتى فأنا أعلم بأمرها ... فسكتوا ... ثم أخذ يجمع شيئا من الأرض، ويمدها إلى الناقة ... فجاءت الناقة لتأخذ مافى يده حتى أناخها وامتطاها ... فمثلى ومثل هذا كمثل الرجل وناقته، ولو أنكم قمتم فقتلتموه أو صنعتم لى معه شيئا لدخلتم النار»... هذا هو موقفه صلى الله عليه وسلم من أنه يصبر للغريب على الجفوة فى المنطق ... وبعد ذلك يقول الحسين رضى الله عنه : **وكان لايقبل الثناء إلا من مكافىء»** يعنى الذين يتطوعون بالمديح لايقبل منهم ... أيما كلمة ثناء، فقال ردا على موقف : «جوزيت خيرا» إذا صنع كذا تقلبه ... **(لايقبل التطوع بالثناء ويقبله من مكافئ)**، يعنى من مكافئ على جميل قدمه رسول الله صلى الله عليه وسلم ...

وبعد ذلك يقول : «وكان لايقطع على أحد حديثه حتى يجوزه هو فيقطعه بانتهاء أو بقيام» وهنا انتهى الحديث ...

إلا أن حديث وكيع بن أبى سفيان زاد شيئا ... أنه سأل عن سكوته صلى الله عليه وسلم فقال : « جمع له صلى الله عليه وسلم السكوت فى أربع : فى الحلم والحذر والتقدير والتفكير » أما التقدير - كما قلنا سابقا - فى تسويته النظر والاستماع بين جلسائه ... وأما التفكير ففيما يبقى وفيما يفنى ... (وجمع الحلم فى الصبر - فكأنه لايغضبه شيء يستفزه لذاته - وجمع له الحذر أربع : أخذه بالحسن ليقتدى به، وتركه القبيح لينتهى عنه، واجتهاد الرأى فى اصلاح الأمة، والقيام لأمته بما جمع لهم من أمر الدنيا والآخرة) صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه وسلم.

* * * *

المعجزات النبوية

للسنة النبوية معجزات أفردت بالتأليف تحت عنوان : (أعلام النبوة) وهى تخبر بأشياء مستقبلة، ليس للمخبر دخل فى وقوعها ، حتى لايعتبر الوقوع منه افتعال لتصديقه فيما يقال.

والمعجزة ليست مهمة لمن نقلت إليه، ولكن لمن شاهدها ، لأن الله أجراها على يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم، ليثبت بها إيمان من عاصره، حتى يقوى على تحمل تبعات أولية الإيمان فى عالم الكفر.

فتفجر الماء من بين أصابعه صلى الله عليه وسلم مثلا ، وإشباع العدد الكثير بالقليل من الطعام، كل ذلك مقصود به من شاهد هذه الوقائع، أما من لم يشهدها ... فإن اتسع ظنه لحصول ذلك على يديه صلى الله عليه وسلم، فبها

ونعمت، ومن لم يتسع ظنه لذلك - بسبب ماقد يراه خللا فى الأسانيد - فحسبه معجزة القرآن الباقية الخالدة ...

والذى يعطينا اليقين فى إعجازات النبوة، هو ماصدر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قول أكده مستقبل الزمن الآتى بعد القول.

فمثلا حين يخط الرسول صلى الله عليه وسلم يوم بدر على الأرض، مكان مصرع كل واحد من صناديد الكفار، ثم تدور المعركة، فليس لمحمد صلى الله عليه وسلم - ولا لأتباعه - قوة تستطيع أن توجد المقتول فى المكان الذى رسمه صلى الله عليه وسلم، لأن المعركة كر وفر بدون إعداد سابق، ثم يحدث وتأتى مصارع القوم فى أماكنها التى حددها الرسول صلى الله عليه وسلم !.

ولنتناول بتفصيل أكثر قصة سرية مؤتة، حينما أخبر

صلى الله عليه وسلم بتتابع الثلاثة : زيد بن حارثة، وجعفر بن أبى طالب، وعبد الله بن رواحة، وقال : إن قتل زيد فالأمير جعفر فإن قتل، فعبد الله بن رواحة، فان قتل، فليرتض المسلمون رجلا من بينهم.

والذى يعنينا فى هذه الغزوة، ما أخبر صلى الله عليه وسلم - وهو بالمدينة - حين نادى فى الناس : الصلاة جامعة، ثم صعد المنبر وعيناه تذرفان، وقال : أيها الناس، أخبركم عن جيشكم هذا الغازى، انهم انطلقوا فلقوا العدو فقتل زيد شهيدا ، فاستغفروا له ... ثم أخذ الراية عبد الله بن رواحة وأثبت قدميه حتى قتل شهيدا فاستغفروا له، ثم أخذ اللواء خالد بن الوليد ...

كل ذلك ولم يكن أحد قد عاد من الغزو، وإلا لوجد المشركون - فى رد هذه المعجزة - دليلا على أنه أخبر بعد أن أبلغ من بشر، ولما قدم يعلى بن أمية رضى الله عنه على

النبى صلى الله عليه وسلم وهو أول وافد بخبر الجيش ... قال له النبى صلى الله عليه وسلم : إن شئت فأخبرنى، وإن شئت أخبرتك. قال : فأخبرنى يارسول الله لازداد يقينا ، فأخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم الخبر كله، ووصف له ماكان. فقال : والذى بعثك بالحق، ماتركت من حديثهم حرفا واحدا ، وإن أمرهم لكما ذكرت.

من علامات النبوة أيضا : **قوله صلى الله عليه وسلم لجابر بن عبد الله (جذ ... واقض)**، وذلك أن جابر قد اقترض مالا من يهودى - وكان ميعاده حين جنى ثمر البلح، ولكن نخل جابر لم يثمر فى هذا العام - فقال صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم : يارسول الله سل اليهودى أن ينظر جابرا لأن نخله خاص هذا العام - يعنى لم يثمر - فطلب رسول الله صلى الله عليه وسلم من اليهودى أن ينظر جابرا. فقال : لايا أبا القاسم ... فذهب الرسول صلى

الله عليه وسلم إلى نخل جابر وسار خلاله وذلك فى قصة طويلة - ثم قال صلى الله عليه وسلم : ياجابر (جذ ... واقض) وأشهد أنى رسول الله.

فقوله جذ وأقض ثقة منه فى أن الله لن يخذله فيما انطقه به، وإلا لما جازف رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أصحابه بكلمة قد لايصدقها الواقع ...

ومن علامته صلى الله عليه وسلم، ماحدث فى غزوة الحديبية، حين انتهى أمر المفاوضات إلى أن يتفاوض عمرو ابن سهيل عن قريش مع الرسول صلى الله عليه وسلم ... وحين كتبا العهد، قال صلى الله عليه وسلم لمن يكتب : اكتب هذا ما تعاهدنا عليه : محمد رسول الله، قال عمرو : لو كنا نشهد أنك رسول الله ما وقفنا منك هذا الموقف. فأصر عمرو على ألا توجد هذه الصفة، وأصر على بن أبى طالب - وهو الكاتب - أن يكتبها حينئذ، فقال رسول الله

صلى الله عليه وسلم لعلى : اكتب مايحب ... أكتب عبد الله، فلم يقبل على، فقال له الرسول صلى الله عليه وسلم ستسام مثلها ، أى ستتعرض لمثل هذا الموقف ... فتقبل. ثم توفى الرسول صلى الله عليه وسلم، وانتهى أمر الخلافة لعلى، وكان ماكان بينه وبن معاوية بن أبى سفيان فى يوم صفين، فلما أرادوا أن يكتبوا عهدا ، قال على لمن يكتب : اكتب هذا ماتعاهد عليه علي بن أبى طالب أمير المؤمنين، فقيل له : لوصدقنا أنك أمير المؤمنين، ماحدث بيننا وبينك، هذا ولكن انزعها من العهد، فنزعها ...

وذلك مصداقًا لكلام الرسول صلى الله عليه وسلم، لأنه لاينطق عن الهوى.

* * * *

شبهات أثارها المستشرقون والرد عليها

أثار بعض المستشرقين أباطيل بهدف التشكيك فى الرسالة النبوية الشريفة، ومن هذه الأباطيل :

١ - ما أثاروه عن صلته صلى الله عليه وسلم بزوجاته، وقد رأى بعضهم أن فيها نوعا من الخروج على مألوف الناس، أو نوعا من الاستمتاع والانشغال بهذه المتعة عما فى الحياة من الروحية التى قامت دعوته على أساسها.

٢ - بعض الآيات التى عاتب فيها الله سبحانه وتعالى رسوله صلى الله عليه وسلم ... هل هذه تنتقص من الكمال النبوى، وكمال المصطفى صلى الله عليه وسلم؟...

٣ - قوله : «فلا وربك لايؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم» وقوله: «فلو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول » والرسول اليوم ليس معنا ... فكيف يستغفر ؟ ... وهل معنى ذلك أنه لامجال للاستغفار؟ ...

* * * *

شبهة تعدد الزوجات

مايقوله المستشرقون ويروجونه وفتنتهم بالاستشراق دليل على رقة الدين عندهم ... هم يريدون أن يجدوا لأنفسهم شيئا مبررا ، هذه المسألة نبحث فيها مع مسلم لتثبيت إسلامه ومع غير المسلم ... لو كنا نريد أن نبحث مع غير المسلم فإننا نبحث معه فى جزئيات تتعلق بالرسول، لأنه (غير المسلم) مؤمن بأنه غير رسول ... ومادام هو مؤمن بأنه غير رسول فماذا يضيره أن يكون ذلك الرسول سلوكه كذا وكذا وكذا !! ... ولكن ليأتى معى نبحث فى رسالته أولا : فإن اقتنع بأنه رسول فبعد ذلك لنا ميزان آخر ... لأنه إذا آمنت بالرسول بواسطة المعجزة التى جاءت على يده ... فقد أصبح الرسول عندى هو الحكم فى كل كمال ... لا آخذ تصرفا من الرسول، ثم أنصب ميزانا من موازين الكمال، لأقيس

تصرفات الرسول عليه لأقول هذا يليق وهذا لايليق ... لأن الأصل أن يكون فعله هو الكمال وهو المقياس ... أما أن أضع أنا مقياس كمال، وأقول: تعال يامحمد يا ابن عبد الله، يامن بعثت رسولا لكى أقيس تصرفاتك على الميزان الذى أضعه !! ... فهذا لايمكن أبدا ... اذن فالأصل أن الرسول مادام ثبت عندى أنه رسول صادق فى التبليغ عن الله ففعله هو الميزان ... وبعد ذلك نأتى : لماذا يتهرب الناس الذين يتكلمون فى الزوجات من موقفهم من الله إلى موقفهم من الرسول؟ ... محمد صلى الله عليه وسلم لم يتزوج وانما زوّج ... اذن المفروض أن يصعد الخلاف فى المسألة إلى الله وليس لمحمد؛ لأن الآية تقول : **«عسى ربه إن طلقكن أن يبدله أزواجا خيرا منكن»** فكأن ربنا هو الذى يطلق لمحمد ... وهو الذى يزوجه ... وآية امرأة زيد بن حارثة **«فلما قضى زيد منها وطرا زوّجناكها»** فمن الذى زوج؟ ......

الذى زوج هو الله ... اذن محـمد (صلى الله عليه وسلم) منفعل ... وليس فاعلا للعملية ... فمن يريد أن يبحث ... عليه أن يصعد المسألة إلى الله تعالى ويقول : لماذا فعل ربنا هكذا ؟ ... ثم الذى يبحثون هذا البحث نقول لهم : تعالوا مادامت المسألة إحصائية ... هل الرسول وسع عليه أم ضيق؟... صحيح أن النبى صلى الله عليه وسلم كان جامعا لتسعة ... ومن كان جامعا لأكثر من أربعة من أصحابه قال له: «أمسك أربعا وفارق سائرهن» ... لكن هو لم يفعل هذا نفسه ... لماذا ؟ ... كان يجب أن يسأل لماذا ؟ ... فيقول له : هؤلاء بخصوصهن مطلوبات ... بدليل أننا لو بحثنا لوجدنا الإباحة فى المعدودات لافى العدد ... وهناك فرق أن يكون المباح المعدود والمباح العدد ... المباح المعدود ... يعنى أن يكون عددهن تسعة، بحيث إذا ماتت واحدة أو طلقها فعليه أن يأتى بواحدة غيرها ... هذا يكون لوأبيح له العدد ... وإنما

الذى أبيح له معدودات بحيث إذا نقصت واحدة فليس له أن يأتى مكانها واحدة ... وليس له أن يستبدل واحدة مكان أخرى.

لقد تزوج السيدة خديجة وهى فوق الأربعين ... وبعد أن ماتت تزوج سودة بنت إمعة، فما حظ سودة بنت إمعة من جمال يعجب رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ ... لقد كان زواجا لأجل الخدمة فقط ... ثم تزوج عائشة وهى بنت ست سنوات لدرجة أنها لم تدخل عليه إلا بعد ثلاث سنين، لكى تكون مهيأة لبيت الزوجية ... مع أنه قيل أنه لم يدخل بها إلا فى سن الخامسة عشرة ... وبعد ذلك نجد أن أم سلمة صاحبة عيال ... والخامسة ... وغيرهن ... كل واحدة لها قصة ... إذن فالاستثناء هنا للمعدودات لاللعدد ... وكان يجب أن نخضع لهم لو أن ذلك عدد رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الأزواج ... نقول : لا ... هذه معدودات رسول الله صلى الله

عليه وسلم فى الأزواج، وأيضا فإن أى صحابى كان عنده أكثر من أربع أمسك أربعا وفارق سائرهن ... المفارقة هذه ستجد لها من يتزوجها ... ولكن هؤلاء أمهات المؤمنين ... فإذا قلنا : يارسول الله أمسك أربعا وطلق خمسا فأين يذهبن؟ ... وأمهات المؤمنين لايحل لأحد أن يتزوج منهن ... اذن فهذه بخصوص هؤلاء ... وهناك أيضا نظرة عاطفية أخرى؛ حيث نجد أن فى نساء رسول الله صلى الله عليه وسلم من كانت تهب قسمتها لعائشة ... امرأة تهب قسمتها لضرتها !! ... ما مدلول ذلك ؟ ... إنها تفطن جيدا لماذا تزوجها رسول الله ... إنه تزوجها ليعطيها نيشانا بأنها أم المؤمنين فقط ... ومادام ليعطيها نيشان أم المؤمنين فقط، فهى مدركة أنها لاتغنى الرجل فى مثل هذه المسائل.

وبعد ذلك ... نأتى إلى مااستنبطه المرحوم مصطفى صادق

الرافعى فى أن نساء النبىَ كبشريات اجتمعن عنده، لكى يسألوه النفقة عندما رأوا عنده أشياء أخذها من بنى قريظة، وأموالا أخذها من اليهود فأردن أن يكون هذا المال سببا فى رفع مستواهن ... فلما اجتمعن يسألنه النفقة ... أنزل الله تعالى قوله : **«ياأيها النبى قل لأزواجك إن كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها فتعالين امتعكن وأسرحكن سراحا جميلا»**. لو أن النسق العاطفى موجود أو الاستمتاع موجود لأحضر لهم مايتزين به ويرفههن وينعمن به ... ولكن قال لهم : إن هذه مسألة مقطوع منها، ولاكلام فيها **«إن كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها فتعالين أمتعكن وأسرحكن سراحا جميلا»**.

وبعد ذلك يعطى المنهج النبوى : **«إن كنتن تردن الله ورسوله والدار الآخرة، فإن الله أعد للمحسنات**

منكن أجرا عظيما» ... وهذا لايتفق مع الاستمتاع؛ إذن فالمسألة هذه إذا كان يبحثها مسلم نقول له : لاتضع أنت أيها الأخ المؤمن برسول الله وبصدق تبليغه عن الله معيارا من معايير الكمال ... ثم تأتى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم لتقول تعالى لأعرض تصرفاتك على المعيار الذى أضعه ... وإلابذلك نكون أحلنا ونقلنا المعيار من يد رسول الله صلى الله عليه وسلم وتصرفه إلى أتباعه ... هذا من ناحية المسألة الأولى ... أما عن قوله صلى الله عليه وسلم (حبب إلى من دنياكم الطيب والنساء)، حبب أى لم أحب ... فهو لم يقل أحببت حتى ينصرف الأمر إلى أن هذه من غريزته، فحبب إلى كأنه أمر تكليفى عابه عليه من جعل الحب فى قلبه ... وحبب إلى من دنياكم يعنى لست فاعل هذا الحب مثل (زوجناكها) تماما ... فكأن رسول الله صلى الله عليه وسلم لايجب أن نأتى تصرفاته ونقول كان يصح كذا أو

لايصح كذا ... وإنما الأصل أن نقول : فعل أو لم يفعل؟ ... فعل ... فهذا عين الكمال ... وكونى لم أفهم هذا الكمال... فهوموضوع آخر.

* * * *

شبهــة العتاب

أما موضوع العتاب : فإن المستشرقين اتخذوها أرضية لكى ينشروا اعتراضاتهم التى يشككون بها فى القرآن الكريم ... مثلا يقولون : إن هناك آية فى القرآن تقول عن الرسول : **«ماينطق عن الهوى إن هو إلا وحى يوحى»** مادام أنه لم ينطق عن الهوى إن هو إلا وحى يوحى ... ساعة نطقه بماعدل الله له ... فعن أى شىء نطق؟ ... ساعة نطق بالأمر الذى عدله الله له فيما بعد أو عتبه عليه ... هم لايفرقون بين النطق عن الهوى ... والنطق بالوحى ... أى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لايتكلم كلمة، وعنده من الله وجه الحق فيها، ثم يلفته هواه الشخصى عما عنده من الله ... فلان ماينطق عن الهوى : ليس معنى ذلك أن يشارف الحقيقة، إنما المهم عنده أنه لم تكن عنده الحقيقة متضحة قبل

أن ينطق، ثم عدل عن الحقيقة ليخدم هوى فى نفسه ... هذا معنى ماينطق، ثم عدل عن الحقيقة ليخدم هوى فى نفسه ... هذا معنى ماينطق عن الهوى ... هو عندما كان يجتهد الرأى لم يكن عنده حكم قاطع فى المسألة من الله، ثم زين له هواه أن يخالف ... إذن ماينطق عن الهوى ... يعنى نطق رسول الله صلى الله عليه وسلم كان عما انقدح فى نفسه من الحق ... ولم يكن هناك حق معلوم له من الله ثم صرفه هواه عنه ... وهذا معنى كونه ماينطق عن الهوى ... ثم الذى يأخذون على رسول الله صلى الله عليه وسلم أن الله عدل له أوعتب عليه :

أولا : نقول لهم هاهو رسول وبشر ... ومن عدل له ... أبشر مثله أم ربه ؟ ... وأى استنكاف من بشر فى أن يعدل له ربه منهجه !! فإن المعدل هو الله وليس إنسانا مثله ... ولماذا لانأخذ بما قاله رسول الله صلى الله عليه وسلم هو

عن نفسه : «يجد على فأقول أنا لست كأحدكم، ويؤخذ منى، فأقول ما أنا إلا بشر مثلكم» فكأن الرسول بتجريده عما يوحى إليه يصح أن يكون منه كذا، ويصح أن يكون منه كذا ... ولذلك واحد يقول : ووجدك ضالا فهدى ... فكيف كان ضالا فهداه؟ ... فنقول : ماهو الضلال؟ ... ابحث عن معنى الضلال ... الضلال هو ألا تصل إلا منطقة الهدى ... وصولك إلى منطقة الهدى عنده فرعان : الأول، أن تكون عالما بمنطقة الهدى ولاتزال غيا، والثانى : ألا تكون عالما بها ... يقال فلان ضل الطريق ... معنى ضل الطريق : أكان عارفا بالطريق ... معنى ضل الطريق : أكان عارفا بالطريق الصحيح، ثم بعد ذلك تعمد أن يذهب إلى الطريق الخطأ؟ ... أم لم يكن عارفا بالطريق أصلا؟ ... قصارى ماكان عند الرسول صلى الله عليه وسلم أنه لايعجبه طريق قومه، لافى توجههم لآلهتهم ولافى سلوكهم ... إنما ماهو المنطق ... المنطق

والخط الذى يجب أن يسير عليه؟ ... فقال له ربه : إنك كنت متضايقًا لاتعرف الطريق وأنا هديتك للطريق ... إذن فليس معنى ذلك أنه كان عنده منعة حق، ثم خالفه فيقال إنه ضل... إذن فنحن نقول له : هو ماينطق عن الهوى صحيح ... يعنى أن كل ماصدر من حكم منه، لم يكن فيه بلاغ عن الله ... لم يكن يعلم وجه الحق فى شىء ثم جعل هواه يعدل إلى شىء آخر ... بل محمد ملك الدليل على أن هذا هو الحق ... وبعد ذلك ننظر نظرة أخرى فنقول : الأشياء التى عاتب الله فيها رسوله : أعاتب عليه أم عتب عليه لصالحه؟ ... أمثلة : الرسول صلى الله عليه وسلم عندما غضبت بعض نسائه من أنه عمل كذا، فحرم على نفسه بعض ما أحل الله ... إنما هو حرم على نفسه ما أحل الله ... ومن الممكن أن أى فرد يرفض أكل طعام معين ... أى حرمه على نفسه (كل الطعام كان حلا لبنى إسرائيل على نفسه) ... الذى حرم على نفسه ضيق

على نفسه أم وسع؟ ... بالطبع ضيق ... إذن العتاب من الله لصالح محمد وليس عليه ... يقول له : لماذا تضيق على نفسك ماوسعه الله لك؟ ... فهذا عتاب عليه صحيح، إنما الأمر يتعلق به أم يتعلق بغيره؟ ... هذا أمر يتعلق به ... فهذه يجب أن تكون فى ميزان له، لا فى ميزان عليه «لم تحرم ما أحل الله لك».

* * * *

قصة ابن مكتوم

بعد ذلك نأتى لموضوع آخر ... موضوع الأهون ... موضوع ابن أم مكتوم ... وهو من المواضيع التى تكلم فيها المستشرقون بحجة النيل من إعجاز القرآن ... وصدق الرسالة.. تعال يا أخى : الرسول صلى الله عليه وسلم ترك ابن أم مكتوم وهو الأسهل إلى الأصعب ... ابن أم مكتوم يريد أن يسأل الرسول صلى الله عليه وسلم أسئلة جوابها سهل عنده صلى الله عليه وسلم، فى الوقت الذى يتكلم فيه مع ناس عندهم خصومة وجدب ... إذن الرسول صلى الله عليه وسلم انتقل من الأسهل على نفسه إلى الأصعب ... فعتاب ربنا عليه هنا هو لماذا فعل هكذا ؟ ... (وما عليك ألا يزكى) ... فكأن الرسول صلى الله عليه وسلم وضع نفسه فى موضع صعب من صناديد قريش بأن يقيم عليهم الحجة ...

و ... و ... إلخ ... فكأنه اعتقد أنهم إن لم يهتدوا فعليه وزر. فقال له : لاوزر عليك ... يعنى لماذا تكلف نفسك الأمر الصعب فى الدعوة، وأنت عليك البلاغ فقط وتترك الأمر السهل ... إذن فالعتاب لصالحه أم لغير صالحه؟ ... خذها من ناحية أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ترك أمرا كان سهلا عليه جدا ، ولايكلفه عنتا ولايكلفه مشقة، ثم ذهب إلى أمر آخر يتطلب عنتا ومشقة ... ثم ينظر إلى الحيثية ... الحيثية أن هؤلاء الذين تصدى لهم الرسول - صلى الله عليه وسلم - كان يرى أنهم لو اهتدوا فلا أقل من أنهم لن يفتنوا المؤمنين... ولا أقل من أن يؤمن أتباعهم ... فالأمر لصالح الدعوة بمشقة على نفسه ... اذن فعتب الله عليه فى قوله :

«عبس وتولى. أن جاءه الأعمى. ومايدريك لعله يزكى. أو يذكر فتنفعه الذكرى. أما من استغنى. فأنت له تصدى» ثم قال : **«وما عليك ألا يزكى»** يدل

على أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان يحمل نفسه على الأمر الشاق، ويترك الأمر السهل، فالله عتب عليه ... تماما كما لو دخل الإنسان منا على ابنه مثلا فوجده يذاكر فى اليوم عشر ساعات أو عشرين ساعة فيعاتبه ... ولكن لماذا يعاتبه؟ ... هل لأنه قصر، أم لأنه حمل نفسه أكثر مما يطلب منه؟ ...

* * * *

أسـرى بـدر

ثم ننظر إلى هذه الأمور من ناحيـة أخرى ... فهى تدل على أمانـة رسول الله صلى الله عليه وسلم فى التبليغ عن ربه ... فهو ينقل إلينا أمرا يتعلق بحكم عاتبه الله فيه ... وبعد ذلك ... إلي أي شيء إنتهى أمر العتب : إلى نسخ حكم عمل الرسول، أم تأييده؟ ... ولنضرب لذلك مثالا بأسرى بدر (ماكانَ لنبيَ أن يكون له أسرى حتى يثخن فى الأرض) وفى تفسير هذه الآية قيل ان الرسول صلى الله عليه وسلم استشار أصحابه، وكان لكل منهم رأى ... فعمر رأى رأيا، رأى وأبو بكر رأيا ... وعبد الله بن رواحة رأى رأيا وغيرهم... ثم أخذوا برأى معين وعملوا به ... فى اليوم التالى دخل عمر على الرسول صلى الله عليه وسلم وأبى بكر فوجدهما يبكيان ... فسألهما، فقال الرسول صلى الله عليه

وسلم : ابكى للذى كاد أن يصيبنا ... هنا قال هؤلاء المشككون : إن القرآن جاء مخطئا - حاشاه - رسول الله صلى الله عليه وسلم ... ولكننا نطرح الرواية والتفسير على ذلك : هل عدل الخطأ أم أقره؟ ... لم يعدل الخطأ ... الله سبحانه وتعالى احترم الظروف المرجحة لأخذ هذا الرأى ... وبعد ذلك قال : **(لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم)** فالحكم لم يتغير ... ومعنى أن الحكم لم يتغير - ومع ذلك قال لنا ذلك - إن الرسول صلى الله عليه وسلم : كان مبلغا أمينا ... لو أن الحكم كان قد تغير نقول: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم اضطر أن يذكر هذه الحكاية لأنها حيثية تغيير الحكم ... فكان فيه رأى بأخذ الفداء ... والآخر بقتل الأسرى ... ثم رجح أخذ الفداء. وبعض المفسرين يقول : سبق - فى علم الله تعالى - أنه سيبيح لهم أخذ الفداء، ولكن (ماكان لنبى أن يكون له أسرى حتى

يشخن فى الأرض) ... يعنى كان المفروض أن تنتظر إلى أن ينزل الحكم.

* * * *

حكـــايـة زيــد ابن حــارثــة

ولذلك فإن الحق سبحانه وتعالى ساعة أن يأتى باستدراك على حكم قاله صلى الله عليه وسلم ببشريته يعبر عنه التعبير الدقيق ... مثلا زيد بن حارثة لماجاء أبوه وعمه وعرفا أنه عند رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأرادا أن يأخذاه من رسول الله صلى الله عليه وسلم وخيّره : إما أن يذهب مع أبيه، وإما أن يظل معه ... فاختار رسول الله صلى الله عليه وسلم ... الذى اختار رسول الله على أبيه كيف يجازيه رسول الله؟ ... سماه زيد بن محمد ... شرف كبير لزيد بن حارثة أن يكون زيد بن محمد ... وبعد ذلك أراد الله أن يبطل مسألة التبنى فقال : **(أدعوهم لأبائهم هو أقسط عند الله)** تعبير دقيق ... كلمة أقسط ... فكأن ماصنعته يامحمد قسط عدل، ولكن نريد ماهو أعم وأسمى من هذا ...

إذن فالرسول صلى الله عليه وسلم كان يتخول أن يأتى الأشياء على مقتضى العدل ... فهذا ببشريتك، ولكن عندى مسألة أعم تعم زيد بن حارثة وغيره ... مبدأ إسلامى، وهو **(ادعوهم لآبائهم هو أقسط عند الله فإن لم تعلموا آباءهم فإخوانكم فى الدين)** يعنى بعد أن كان زيد بن محمد أصبح مرة أخرى زيد بن حارثة ... وهذا بالنسبة لزيد نكسة ... لكن الله سبحانه وتعالى لم يفجعه هذه الفجيعة، لكى يطبق مبدأ عاما ... زيد بن حارثة يقول : أنا كنت خادم شرف ... لكن بسبب تطبيق هذا المبدأ العام ... أعود من زيد بن محمد إلى زيد بن حارثة !! ... فيقول له الله : لكن سوف أعطيك نيشانا من عندى فوق ما أعطاك محمد ... فإذا كان محمد أعطاك شيئا، فرب محمد سيعطيك ماهو خير مما أعطاك ... زيد، هو الصحابى الوحيد من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى يذكر اسمه فى القرآن الكريم

متلوا ... ويتعبد بتلاوته ... (فلمّا قضى زيد منها وطرا)!! ... بعد أن كان زيد بن محمد أصبح اسمه كلمة فى القرآن نقرؤها ونتعبد بها ... فهل أخذ شرفا أم لم يأخذ؟... اذن نخلص من هذا فنقول : الرسول صلى الله عليه وسلم حينما يكون بصدد أمر، ليس عنده حكم فيه يتخيله فيختار الأصلح فيصنعه.

إذن فقوله سبحانه : (عفا الله عنك لم أذنت لهم حتى يتبين لك الذين صدقوا وتعلم الكاذبين) ... الحق سبحانه ساعة أن قدم كلمة العفو ... فهذا معناه قطع كل شيء ... معنى عفا الله عنك - كما نقول فى عرفنا - أن المسألة منتهية ... لاشيء فيها ... لكن ربنا يقول لرسوله هذا الكلام ليعلم أناسا آخرين ليس عندهم وحى ... فالرسول ... ربه سبحانه وتعالى هو الذى يعدل له إن أخطأ مثلا ... لكن غير الرسول من يعدل له؟ ... إذن لابد أن كل واحد يعمل

المسائل عن بيان ... حتى يتبين لك ... إذن العلة فى مثل هذه المسألة حتى يتبين لك الذى صدقوا. فهذا وجد له من يصحح له، لكن أمثالنا وأمثال خلفائه وأمثال أتباعه لايوجد من يصحح لهم.

أما عن قوله تعالى : **(فلا وربك لايؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم)** وقوله : **(ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيما)** فقول : الرسول صلى الله عليه وسلم كما قلنا هو مسك الختام فى البلاغ عن الله ... مادام مسك الختام فى البلاغ عن الله، فالحق يعلم أزلا أن الرسول صلى الله عليه وسلم ستأتى دعوته، وأن أمته ستكون آخر الأمم التى عليها بعث الساعة، وأنها الأمة التى يبلغ فيها العقل البشرى نضجه وتفتحه وطموحه واكتشافاته ... الخ. والعقل البشرى هو وإن كان الميزة التى

ميز الله سبحانه وتعالى بها الإنسان ... إلا أنه أيضا الخطر الذى يصاب من ناحيته الإنسان !! ... لمــاذا؟ ... لأن العقل البشرى يفتن ... وساعة أن يفتن يريد أن يعطى لنفسه أكثر من مجاله ... ولو أنه - كما قلنا - أن العقل البشرى يبحث أو مايبحث فى أن يعقل مهمته ... ويعلم أنه آلة إدراك ... والعين آلة إدراك - فكما أن العين لها مجال فى أن ترى، والأذن لها مجال فى أن تسمع، كذلك أنت لك مجال فى أن تفعل ... فالعقل البشرى كلما قدم طموحه واكتشافاته لأسرار الكون ازداد بنفسه غرورا ... هذا الغرور مردود بشىء واحد، هو أن مايعتبره العقل البشرى شيئا يؤدى إلى غروره، كان يجب أن يجعله شيئا يعرف به قدره ... لأن معنى أن واحدا اكتشف شيئا اليوم، أنه كان عاجزا عنه بالأمس ... إذن إكتشافات العقل لا تعد دليلا على قدرته، وإنما هى دليل على عجزه ... فلو لم يكن عاجزا بالأمس ما اكتشف اليوم.

لو أنك أيها العقل صالح لإدراك حقائق الأشياء لأدركتها دفعة واحدة لمجرد وجودك ... فهذا الإنسان بعقله هذا كلما تقدم فى كشفه لحقائق الكون، بعد عن فطرة التدين ... ولنضرب لذلك مثلا ونقول : كان الناس حينما لايجدون ماء لزرعهم ومواشيهم وأنفسهم ... ماذا كانوا يصنعون؟ ... كانوا يفزعون إلى الاستسقاء ... لأنه لابديل عن ذلك. أما الآن ... إذا لم نجد الماء نتحايل، فربما كانت هناك ماسورة بها كسر، أو أن أجهزة الضغط بها عطل، أو ... أو ... إلخ ... إذن هناك وسائط من نشاطات العقل أبعدتنا ... فالوسائط بيننا وبين الفرع خزان لتخزين الماء فيه مدة طويلة ... ولكن لو لم يكن العقل قد جاء بهذا الخزان وعمل الأوانى المستطرقة و ... و ... إلخ. فكان بمجرد امتناع الماء فزعنا إلى الله ... أى أننا نبعد عن الإيمان بقدر عطاء العقل وهذه كارثة ... وأنه من المفروض كلما اكتشفنا سرا من أسرار كون الله تعالى فى

الوجود أن نزداد بالله تعلقا.

* ألا يمكن أنه بعد أن يبعد بنا العقل عن الإيمان بمقدار ما يحقق من مكاسب، ثم يقف عاجزا أن يجعلنا أشد ارتباطا بالله؟

إذن ... كان ولابد أن تكون الدعوة التى ستعاصر، وثبات العقل فى الابتكار دعوة وسمة مقابل هذا ... فدعوة الرسول هذه عظيمة لأنها ستوالى العقل المتطور ... العقل الواثب ... ولذلك فإن الحق سبحانه وتعالى لايعطى عطاءه فى كتابه دفعة واحدة ... وإلا لو أنه أعطى عطاءه فى كتابه للقرن العشرين فقط، ثم بعد ذلك يأتى القرن الثلاثون فماذا يكون فيه من عطاء الله؟ ... فينبغى إذن أن يعطى الكتاب الكريم أسرار الله المودعة فيه بأقدار على قدر مايناسب طموح العقل ...، وإذن سيظل عطاء القرآن إلى أن تقوم الساعة بحيث يجعلنا هذا العطاء نتحقق من قوله تعالى :

(سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم الحق) ... وبعد ذلك حينما يأخذ العقل قمته ولم يعد فى كونه سرا حتى يبحث العقل عنه فيقول : **(أخذت الأرض زخرفها وازينت وظن أهلها أنهم قادرون عليها أتاها أمرنا ليلا أو نهارا).**

إذن فالرسالة المحمدية جاءت، ويعلم الحق أنها موقوتة، وعلى ميعاد مع وثبة العقل الطموحية فى الابتكار ... ولو لم يكن فى هذه الرسالة مايقابل هذا لبعد الناس عن منطق الله.

والنقطة الأخيرة هى المنفرة ... الرسول صلى الله عليه وسلم خاتم وآخر إذن تستقبل رسالة السماء **(اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الإسلام دينا)**. ولا يأتى بعد ذلك رسول ... إذن فالرسول هو منول الفتح إلى الله ... والفتح إلى الله يعطى خير الله ... لكن الإنسان لايستقبل الخير دائما باليقظة المطلوبة له،

فتغفل نفسه ... فالرسول مع ذلك يقول : أنا آخذ بيدك، لأرجعك إلى الفتح ... إذن فالحق سبحانه وتعالى جعل ميزان المؤمن فى الحكم على إيمانه، يتصل بالرسول صلى الله عليه وسلم **(فلا وربك لايؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لايجدوا فى أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما)** ... إذن فهذا ميزان الإيمان ... إذا أردت أن أعرف مرتبتى من الإيمان، فانظر موقفى من الرسول صلى الله عليه وسلم فى هذه المسألة ... وكلمة (يحكموك) أى فيما بلغته عن الله وفيما استنبطته أنت من نفسك واجتهدت فيه ... ولذلك تجد أن آيات القرآن الكريم فى مسألة الطاعة مرة تقول : **(أطيعوا الله وأطيعوا الرسول**، فيكرر الأمر ... ومرة يقول : **أطيعوا الله والرسول)** ... ومرة يقول : **(أطيعوا الرسول)** ... لماذا؟ ... لأن فيه أموراً اشترك فيها الرسول مع الله، وأموراً جاء الله

بها إجمالا وفسرها الرسول، قلنا هنا طاعة وهنا طاعة، وأمور لم تأت عن الله ... إذن عندما يقول: **(فلا وربك لايؤمنون حتى يحكموك)** وهو لايحكم إلا بما عليه، وبعد ذلك نأتى فى مسألة الذنوب ... إذن فهو أخذنا من مقام الفتح الإيمانى، وبعد ذلك يأخذ أيضا فى مقام الأوبة إلى الله.

* * * *

هذا الكتاب

محاولة متواضعة من فضيلة الشيخ الكبير محمد متولى الشعراوى يسير قضية مهمة تشغل بال كل مسلم، ولكشف أبعاد الحقيقة فى إدراك مدى عمق معجزات رسول الله، صلى الله عليه وسلم، وفى درء شبهات المتعصبين، الذين يريدون أن ينفذوا إلى الإسلام بأحقادهم ومكائدهم.

والكتاب يحاول ذلك من خلال ربط رائع بين ارتقاء وصفات رسول الله الخلقية والخلقية من جهة، وبين المعجزات التى خصه بها سبحانه وتعالى - من جهة أخرى ... ربط فلسفى محكم مقنع صادق، يؤدى إلى نتيجة جلية واضحة، ذكرها الله منذ الأزل، وربط بها الإيمان منذ أوجد الإنسان على ظهر الأرض، بل منذ بدء الخلق :

محمد رسول الله حقا وصد
حقيق بما حدث له من معجزات. يس
أبعد ما يكون السمو فوق الشبهات .

يُطلب مِن
مركز توزيع الكتاب الإسلامى
٢ درب الأتراك خلف جامع الأزهر
ت ٥١٢٣٦١١